

الجانب الأدبي في كتب " الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب

الأستاذ الدكتور أحمد فوزي الهيب

جامعة الجزائر الثانية (أبو القاسم سعد الله)

تاريخ 11 سبتمبر: 2018/6/8

تاريخ القبول: 2018/12/6

الأدب في كتب تواريخ المدن نوع مهم من أنواع الأدب في اللغة العربية أو غيرها من لغات العالم، لا يمكن إهماله البتة في دراسة الحركة الأدبية شعراً أو نثراً في أي عصر من العصور، أو قطر من الأقطار أو مدينة من المدن، لأنه جزء أصيل لا يتجزأ منها.

وهو فن أدبي يُعنى بالتأريخ للبلاد والمدن وحيواتها وترجمة رجالها من حيث أسماؤهم وعصرهم وبيئتهم وعلومهم وأدبهم، ويعرض ذلك بأسلوب أدبي تختلف جمالياته باختلاف أصحابه، ومن البديهي كذلك أن يُعنى بتراجم الأدباء والشعراء وأدبهم وسماته شعراً كان أو نثراً، فألهمت المؤلفات الكبرى في ذلك، مثل كتاب المشرق في حُلَى المشرق، وكتاب المغرب في حُلَى المغرب لابن سعيد (ت 685هـ) وبعض أقاربه، ومثل تاريخ بغداد للبغدادي (ت 463هـ)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (ت 571هـ)، وبغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (ت 660هـ)، والدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية (ت 843هـ) وغيرها، والأخير موضوع هذا البحث.

ولقد حذف كثير من أصحاب الكتب الآنف الذكر أسانيد أخبارهم، التي التزموا بها في بداية الأمر أسوة بأصحاب الحديث النبوي الشريف، فغدت بهذا الحذف أدباً من حيث المضمون والشكل، عبرت عن شخص صاحبها وأدبه من جهة، وعن الروح الأدبية للعصر الذي قيلت فيه أو تحدثت عن أعيانه، وعن ظلال المكان الذي ترجمت لأعلامه، ولقد وضح ذلك ياقوت الحموي في قوله: "وحذفت الأسانيد إلا ما قلّ رجاله، وقرب مناله، مع الاستطاعة لإثباتها سماعاً وإجازة،

إلا أنني قصدت صغر الح جم وكبر النفع، وأثبتت مواضع نقلي ومواطن أخذي من كتب الع لماء المعول في هذا الشأن عليهم، والمرجوع في صحة النقل إليهم¹.

وأما ترتيب التراجم في تلك الكتب، فقد وضع أصحابها لذلك خطة محكمة سهلة، اعتمدت الترتيب الألفبائي لأسماء الأعلام ولأسماء آبائهم، تمكن الباحث من الوصول إلى مبتغاه بسهولة ويسر، كما رتبوا الأسماء المتشابهة حسب سني وفاة أصحابها، لتسهيل البحث على الباحث في وقت لم تكن للكتب الفهارس المتنوعة التي نعرفها اليوم، وقد أشار إلى ذلك ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان².

وفضلاً عن الأعلام الذين عرفوا بأسمائهم وأسماء آبائهم، ثمة أعلام آخرون عرفوا بلقبهم أو نسبتهم أو كنيته، فأفرد أصحاب كتب التراجم لهم فصلاً خاصاً بهم، ذكروا فيه أسماءهم وأسماء آبائهم تيسيراً للباحثين، وأشاروا إلى ذلك³.

إن كثيراً من الكتب الأنفة الذكر وأمثالها هي كتب أدبية بامتياز مضموناً وشكلاً، وذلك لما تضمنته بعامة من نماذج أدبية شعرية ونثرية لا توجد في سواها من جهة، ولا بتعداد أكثرها عن ذكر الأسانيد والعنعنات التي هي مهمة جداً في كتب الحديث النبوي الشريف من جهة ثالثة، ومن جهة أخرى لأن أكثرها قد صيغ بأسلوب أدبي جميل، نستطيع أن نطلق عليه السهل الممتنع، لأنه يوصل مضمونه من المعلومات بأسلوب جميل ممتع بسيط، الأمر الذي يوجب على الباحث أن يعدها أنواعاً أدبية جديرة بالعناية والدراسة، ونماذج من الأدب لا يمكن إغفالها، بل تجب

¹ معجم الأدياء 1-7

² قال ابن خلكان: "فاضطرت إلى ترتيبه، فرأيت على حروف المعجم أيسر منه على السنين، فعدلت إليه، والتزمت فيه تقديم من كان أول اسمه الهمزة، ثم من كان ثاني حرف من اسمه الهمزة أو ما هو أقرب إليها، على غيره، فقدمت إبراهيم على أحمد لأن الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء، وكذلك فعلت إلى آخره، ليكون أسهل للتناول، وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر في العصور وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين، لكن المصلحة أحوجت إليه". (وفيات الأعيان 1-2)

³ مثل ياقوت الحموي إذ يقول: "وأفردت في آخر كل حرف فصلاً أذكر فيه من اشتهر بلقبه أو نسيبه أو كنيته، وخفي عن أكثر الناس اسم ه، فأذكر من لقبه على ذلك الحرف، من غير أن أورد شيئاً من أخباره فيه، إنما أدل على اسمه واسم أبيه لتطلبه في موضعه" (المصدر نفسه)

العناية بها وعدم الاقتصار على ما قيل في عصرها من شعر أو نثر فني فقط ، لأنها تتفوق جمالياً عليهما في أحيان كثيرة ، وبخاصة فيما بعد القرن السادس الهجري ، كما أنها تعطي أيضاً ملامح وظلالاً جديدة لصورة الأدب في تلك العصور ، تأثيرها وتنصفها وتصوّب ما أطلق عليهما من أحكام وما وصفت به من صفات الضعف والانحطاط.

وعلى الرغم من أن كثيراً من هذه الكتب الآنفة الذكر يصلح أن يكون أنموذجاً لهذا الضرب من الآداب في عصره ، فإننا أثرتنا أن يكون موضع عنايتنا في هذا البحث كتاب " الدرالمنتخب في تكملة تاريخ حلب " لابن خطيب الناصرية ، والذي حققته وقدمت له ، وصدر في ستة أجزاء في شهر مارس سنة 2018 بمؤسسة البابطين الثقافية في الكويت، وذلك لأسباب عدة، منها:

- أنه كتب في القرن التاسع الهجري الذي يصف باحثون أدبه بالانحطاط.
- حوى بين دفتيه الكثير من القصائد والمقطعات الشعرية والفنون الشعرية المستحدثة والأرجال والنصوص النثرية التي قلما ذكرت في غيره من المصادر.
- صاغه مؤلفه بأسلوب جميل سهل خال من قيود الصنعة ، مما جعله أنموذجاً يكمل هو وأمثاله صورة آداب العصر المملوكي ، ويصححها ويمحو الأحكام الجائرة التي أطلقت من غير تدقيق وإنصاف على آداب ذلك العصر ، وعلى آداب الدولتين الأيوبية والزنكية بعد أن جمعها بعض الباحثين مع آداب الدولة العثمانية في زاوية واحدة ، وأطلق عليها كلها اسم أدب عصر الانحطاط . وذلك لأن ثمة فروقاً كبيرة بين الدولتين الزنكية والأيوبية من جهة ، والدولة العثمانية من جهة أخرى . منها - على سبيل المثال لا الحصر - أن هاتين الدولتين وعواصمهما ومدنهما الرئيسة كانت في البلاد العربية ، وأن لغتهما الرسمية كانت العربية ، وأن كثيراً من السلاطين ورجالتهما قد تعربوا وأجادوا العربية ونظموا بها الشعر رغم أصولهم الأعجمية ، وأن الوزراء والكتاب والقضاة وغيرهم في كلتا الدولتين كانوا من العرب ، بل من الأدباء والعلماء ، ولا نجد ذلك في الدولة العثمانية إلا قليلاً.
- فضلاً عما تقدم نضيف إلى مسوغات اختيارنا لهذا الكتاب أنه حديث التحقيق والنشر ، لم يطبع من قبل رغم أهميته ، وذلك لأن المحققين تحاشوا تحقيقه لضخامته وصعوبة العمل فيه لأسباب لا مجال لذكرها الآن.
- أنه لم يُدرس من قبل ، وإنما ثمة إشارات إلى عنوانه ومؤلفه وأه ميته في عدد من المصادر والمراجع ، مما يجعله إضافة مهمة إلى المكتبة العربية.

- ومع ذلك فهو ثاني أكبر كتاب في تاريخ مدينة حلب الشهباء بعد كتاب " بغية الطلب في تاريخ حلب " لابن العديم ، والذي لم يصل إلينا إلا ربعه بعدما ضاع ثلاثة أرباعه مع الأسف الشديد.
- بلغ عدد الأعلام الذين ترجم لهم (1667) علمًا، منهم الشعراء والكتاب والعلماء والسياسيين والملوك والقادة والمتصوفة وغيرهم ، وهذا عدد كبير جدًا إذا قورن بعدد المترجم لهم في أمثاله من المصادر ، مثل معجم الأدباء لياقوت الحموي ووفيات الأعيان .
- ذكر عددا كبيرا من النساء اللواتي أسهمن في الحياة العلمية والأدبية في ذلك العصر .
- غطى الكتاب حقبة زمانية واسعة ، ابتدأت من نهاية كتاب " بغية الطلب في تاريخ حلب " لابن العديم سنة 658هـ حتى وفاة المؤلف سنة 843هـ ، أي قرابة قرنين.

وأما صاحبه ، فهو علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي بن هبة الله بن ناجية ، العلاء أبو الحسن الطائي الجبريني¹ ثم الحلبي الشافعي ، سبط العالم الزين علي ابن العلامة قاضي قضاة حلب الفخر عثمان بن علي بن عثمان الطائي، ويعرف العلاء بابن خطيب الناصرية².

ولد سنة أربع و سبعين وسبعمئة بحلب في أسرة مشهورة بالعلم ، ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم، ودرس كثيرا من الكتب على كبار علماءها ، ثم ارتحل لطلب العلم إلى القاهرة وبيت المقدس وحماة وطرابلس ودمشق وغيرها ، وأخذ العلم على أشهر علماء عصره حتى غدا واحداً منهم بعدما جمع بين غزارة العلم ورجاحة العقل والخلق الرفيع.

وحدث ابن خطيب الناصرية ببلده وبالقاهرة وغيرهما ، وأخذ عنه الأئمة ، وكانت دروسه حافلة بحيث كان شيخه البرهان الحلبي³ يقول: هي دروس اجتهاد لم أسمع شبيها إلا من شيخنا البلقيني¹، كما قال عنه العلاء القلقشندي المصري²: ما قدم علينا من الغرباء مثله³.

¹ نسبة إلى قرية بيت جبرين الفستق قرب حلب التي لما نزل عامرة معروفة.

² الضوء اللامع 5-303

³ إبراهيم بن محمد بن خليل الطرَابُلسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، برهان الدين: عالم بالحديث ورجاله، من كبار الشافعية، ويقال له: البرهان الحلبي وسبط ابن العجمي . ولد في حلب سنة 753هـ. رحل إلى دمشق

ولم يزل ابن خطيب الناصري يدرس ويفتي ويصنف حتى مات بمدينة حلب يوم الخميس منتصف ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، ورثاه قاضي المسلمين محب الدين أبو الفضل ابن الشحنة بقصيدة، منها:

ناحت على سلطانها العلماء وبكت لفقدها الشهباء
وانهد ركن أي ركن شامخ للمسلمين ويتم الفقهاء
فلئن رأينا الشهب يوم مماته لا بدع لما أن تغيب ذكاء
جل المصاب به وعم فموته - قسما - مصاب ليس عنه عزاء
الله أكبر يالها من ثلمة في دين أحمد مالها إزفاء⁴

وثمة غير ذلك مما كُتب عن ابن خطيب الناصرية، إذ ذكره كثير من القدماء مثل السخاوي⁵ وأبو ذر⁶ وابن الحنبلي⁷ والملطي القاهري⁸ والمقريزي⁹ وابن تغري بردي¹⁰ والأدنه وي¹¹ والشوكاني¹²

وفلسطين ومصر والحجاز، وأخذ عن علماءها، وله مؤلفات عدة، وفي أيامه هاجمها تيمورلنك . توفي في حلب 841 هـ (البدر الطالع 1-28)

¹ عمر بن رسلان بن نصير البلقيني المصري الشافعي، (724 - 805 هـ) مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد في بلقينة بمصر، وتعلم بالقاهرة. وولي قضاء الشام سنة 769 هـ وتوفي بالقاهرة، له مؤلفات كثيرة. (المصدر نفسه 6-85)

² علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي القلقشندي الشافعي القرشي، ولد بالقاهرة سنة 788 هـ وتفقّه بعلماء عصره، وبرع في عدة علوم، وتصدى للإفتاء والتدريس، وتوفي سنة 856 هـ (شذرات الذهب 9-422)

³ الضوء اللامع 5-306

⁴ كنوز الذهب 2-155

⁵ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 5-303

⁶ كنوز الذهب 2-154 وغيرها

⁷ شذرات الذهب في أخبار من ذهب 9-359

⁸ نيل الأمل في ذيل الدول 5-115

⁹ السلوك لمعرفة دول الملوك 7-455

¹⁰ النجوم الزاهرة 15-479

¹¹ طبقات المفسرين 1-325

¹² البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 1-476

وحاجي خليفة¹ والبغدادي². كما ترجم له أيضاً عدد من العلماء في العصر الحديث ، مثل محمد راغب الطباخ³ وكامل بن حسين الغزي⁴ وخير الدين الزركلي⁵ وعمر رضا كحالة⁶.

وإذا انتقلنا إلى كتابه " الدرالمنتخب في تكملة تاريخ حلب " نجده من أهم الكتب التي أرخت لحلب وأكبرها ، ولم يخلف بعده بها مثله⁷ ، وقد جاء مطبوعاً في ستة أجزاء.

تحدث في بداية الجزء الأول عن اسم حلب وتاريخها وبنائها وقدمها وغير ذلك⁸ ، ثم انتقل بعد ذلك إلى ذكر أعلامها الذين بلغ عدد من وصل إلينا منهم – كما أسلفنا - إلى (1668) علماً من أعيانها الحلبيين، وممن استوطنها، أو مرَّ بها وهو عدد كبير جداً، فاق به غيره من الكتب المماثلة له كما سبق ذكره ، ورتبهم على حروف المعجم بعامة⁹ ، فترجم لكل منهم ترجمة، منها الطويل الذي بلغ عدة صفحات، ومنها المتوسط الذي بلغ صفحة، ومنها ما هو أقل من ذلك.

¹ كشف الظنون 1-429 و291

² إيضاح المكنون 4-89 وهدية العارفين 1-173.

³ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 5-212

⁴ نهر الذهب في تاريخ حلب 1-23

⁵ الأعلام 5-8

⁶ معجم المؤلفين 7-200

⁷ إعلام النبلاء 1-40

⁸ الدرالمنتخب 1-50 وما بعدها

⁹ ولكن المؤلف قدّم من بدأ اسمهم بـ (عبد الله) على أمثالهم ممن بدأ اسمهم بـ (عبد) متجاوزاً بذلك الترتيب الألفبائي الذي اعتمده في كتابه بعامة تفضيلاً منه لاسم (الله) – تعالى – على غيره من أسمائه الحسنی.

ولما وصل إلى حلب حافظ العصر ابن حجر العسقلاني¹ سنة 836هـ طالع هذا الكتاب، وأفاد منه، وألحق به أشياء كثيرة، وأثنى على صاحبه، وقال: إن كلاً منهما سمع من صاحبه². ويكفي هذا في تبيان فضله.

ومما يزيد في أهمية الكتاب وفي مته أنه ليس تاريخاً خاصاً بحلب، بل هو تاريخ عام للبلاد الشامية والمصرية والعراقية والحجازية والمغربية والرومية (التركية)، نجد فيه تراجم أعيان هذه البلاد كلها وشعرائها وأدبائها، ممن توفي بين سنة 658هـ وسنة 843هـ، وهي سنة وفاته، فهو - على هذا - كتاب في تاريخ هذه البلاد من النواحي السياسية والعلمية والأدبية والحضارية، وهو مشحون بالتأريخ لعلمائها وشعرائها وأدبائها وآثارهم، وإذا ما قارناه بالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي يتبين أن اللثير من التراجم جاءت فيهما وجيزة، بينما جاءت فيه مطولة، كما أن في بعض الأحيان نرى بعض التراجم مطولة في ذينك التاريخين، وهي عند ابن خطيب الناصرية مخ تصرة، لذلك لا يُستغنى بهذين التاريخين عنه³، كما أنه تفرد بترجمة بعض الأعلام أو بذكر نتائجهم مما لا يوجد في غيره مما وصل إلينا من كتب، وهكذا نستطيع أن نجمع منه ومن الدرر الكامنة والضوء اللامع وأمثالهما شعر بعض الشعراء، ونصنع لهم دواوين خاصة بهم، مما يساعد في إثراء دراسة الحركة الشعرية والأدبية آنذاك فضلاً عن أساليب هذه الكتب نفسها.

وقد ذكر ابن خطيب الناصرية ذلك بوضوح في أول كتابه وعلمه، فقال: " فلما كان ح ب الوطن يُعدُّ من الخُلُق الحسن، وكانت حلب وطني، عظيمًا قدرها، جليلاً أمرها، مع حصانة حصنها، وكثرة أعمالها ومدنها، وطيب نفعها، وصحة تربتها، ورقة هوائها، وعدوبة مائها،

¹ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني (773 - 852 هـ) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، تصانيفه كثيرة جلييلة، منها "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" (البدر الطالع 1-87)

² إعلام النبلاء 1-40

³ مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حالياً) المجلد 16، العدد 182 شباط (فبراير) 1941 ص 185 مقال لمحمد راغب الطباخ.

وغزارة فضلها ، وكثرة العلماء والشعراء من أهلها ، ووفور الطارش¹ من العلماء عليها ، والواردين من الأعيان والفضلاء إليها ، وجمع لها تاريخاً مستوعباً لذلك الإمام العلامة أبو القاسم عمر بن أحمد ابن العديم الحلبي الحنفي - رحمه الله تعالى - فأنقن وأجاد وأطال ، ولم يسبقه أحد إلى تاريخ لها على الخصوص ، وسماه " بغية الطلب في تاريخ حلب " ² ، رتبته على حروف المعجم ، ومُسَوِّدته نحو أربعين جزءاً كبيراً ، والمُبَيَّضة تجيء كذلك ، لكنه اخترمته المنية قبل إكمال تبييضه ، أحببت أن أذيل عليه ذيلًا مختصرًا ، وقبل الخوض في ذكر الأسماء أصدرته بفصول:

- الأول: في حلب ، وأسمائها ، ومن بناها ، وألقابها.
- الثاني: في ذكر حدودها ، وأعمالها.
- الثالث: في ذكر فضلها ، وخصائصها.
- الرابع: في فتحها.
- الخامس: في نهرها ، وقُنَّيِّها ، ومساجدها ، ومعابدها.

وقد ذكر ذلك صاحب كمال الدين عمر ابن العديم في تاريخه مستوفىً ، لكن تاريخه تفرق شذَرَمَدَرً ، ولا يوجد إلا القليل منه ، وكنت وقفت منه على بعض أجزاء من المَبَيَّضة قبل الفتنة التمرية³.

ثم أذكر من هومنها ، أو من بلادها ، أو من اجتازها من الرواة والعلماء ، والفضلاء والرؤساء ، ومن كان بها من الصالحين والعباد ، ومن نزلها ، واجتازها أو بمعاملتها⁴ من أهل الشعر والإنشاد ، ومن دخلها أو ملكها من السلاطين ، أو وليها من الأمراء والنواب والقضاة ، ومن وفد إليها أو إلى معاملتها من فضلاء غيرها من البلاد ، ومن كان له بها مباشرة من الأعيان ، أو وقعة أشهرت عنه فعدته من الفرسان ممن كانت وفاته من سنة ثمان وخمسين وستمائة ،

¹ لم نجد في المعاجم ويستخدمها البدو والريفيون حول حلب ، ولعلها تحريف طارئ ، وهو الآتي من مكان آخر ، وتعني هنا العلماء الذين غادروا أوطانهم إليها . (موسوعة حلب المقارنة 1-232)

² طبع ما وجد منه ، وهو اثنا عشر جزءاً . تح سهيل زكار . دار الفكر . بيروت

³ أي تدمير تيمورلنك لحلب سنة 803هـ (نهر الذهب 3-166)

⁴ أي ما يتبعها من بلدات وقرى وقلاع وأنهار وغير ذلك .

وهي السنة التي أخذ هولأكو حلب وخرها، ثم أنشئت عمارتها من ذلك الحين وهلمَّ جرًّا إلى زمني¹.

ثم ذكر منهجه في ترتيب تراجمه - كما أشار من قبل ياقوت الحموي - فقال: "ورنَّبْتهم على حروف الهجاء، في الاسم، واسم الأب، والجد، وإن علا، مهما أمكن، وكذلك في حروف الاسم واسم الأب، وإن علا، ليكون أسهل للكشف. ولم أدع الاستيعاب، بل ما وقفت عليه وعلمت، أو غلب على ظني أنه دخل حل ب أو معاملتها، أو كان من أهلها، أو وُلد بها. فمن عثر على اسم أحد قد أهملته فليُحَقِّقْهُ، وليدع لي وله بالمغفرة والرحمة.

وأما الملاحم فإني أذكرها باسم من اشتهرت به، وكذلك النوازل والنوادير أذكرها في ترجمة من توفي في السنة التي اتفقت فيها. وسمَّيْتُه الدرالمنتخب في تكملة تاريخ حلب².

وتتجلى القيمة الأدبية لهذا الكتاب فيما ذكره من شعراء وأدباء من جهة، وفيما نقله من نصوص أدبية شعرية، ونثرية من جهة ثانية، وفي أسلوبه الأدبي السهل البعيد عن الصنعة والتكلف وما فيه من قيم جمالية من جهة أخرى.

أما الشعراء فقط، فقد بلغ عددهم في الدرالمنتخب 357 شاعرًا، وهو عدد كبير جدًّا، وخاصة إذا ما قورن مع ما جاء في أمثاله من الكتب، وكان من هؤلاء الحلبي الذي ولد وعاش ومات في حلب، ومنهم الذي ولد في حلب وانتقل إلى غيرها، ومنهم من استقر بها، أو زارها، أو مرَّ بها، أو بالبلاد التي كانت تتبعها في الحقبة التي أرَّخ لها ابن خطيب الناصرية، كما كان منهم أيضًا الحموي والحمصي والدمشقي والعراقي واليميني والمصري والمغاربي والأندلسي والعجمي والرومي والقرمي والتركستاني وغير ذلك، ومثلما تعددت بلدان هؤلاء الشعراء اختلفت قومياتهم، فكان منهم العربي والتركي والعجمي والكردي وغير ذلك، ولكنهم كانوا جميعًا قد اتخذوا اللغة العربية لسانًا عبروا به عن مكنونات عقولهم ومشاعر قلوبهم.

¹ الدرالمنتخب 1-47 وما بعدها

² نفسه 1-49

وفضلاً عن ذلك كان بعض هؤلاء الشعراء مشهوراً، مثل ابن نباتة (ت 768 هـ) وصفي الدين الحلي (ت 750 هـ) وابن الوردي (ت 749 هـ) وغيرهم، ولكن رغم وجود ديوان شعر مطبوع لكل منهم أورد ابن خطيب الناصرية لهم أحياناً أشعاراً ليست في دواوينهم فضلاً عن تلك التي فيها، كما ذكر ابن خطيب الناصرية إلى جانبهم شعراء أقل منهم شهرة، وشعراء غير مشهورين أيضاً ضاعت دواوينه، أو ليس لهم دواوين.

ولذلك كان من هؤلاء الشعراء المتفرغ للشعر، لا همّ له سواه مثل ابن نباتة، ومنهم من كان له وظيفة أو مهنة إلى جانب الشعر، أو كان الشعر إلى جانبها. وقد اختلفت هذه الوظائف أو المهن، فكان منها المهنة المرموقة كالكتابة الديوانية لدى الشهاب محمود أو القضاء عند ابن الوردي، ومنها ما كانت مهنة أقل من ذلك، ولكنها متميزة راقية كالطب، وهي مهنة أبي بكر بن أحمد بن داود الحمصي، ومنها ما كانت مهنة عادية شعبية كالحلاقة مثل مهنة محمد بن إبراهيم بن بركة المزين.

ومثلما اختلفت المهن وتفاوتت، اختلفت منازل الشعراء من حيث النسب والثقافة والمستوى الاجتماعي، فكان منهم الشريف الثري مثل أحمد بن أحمد بن محمد بن علي¹، ومنهم الفقير الذي يسأل الناس إحساناً مثل عين بصل²، ولا شك في أن لقبه الذي عُرف به يدل على منزلته الاجتماعية، كما كان منهم شبه الأمي ومنهم العالم النحرير المشار إليه بالبنان مثل ابن خلكان³، وكلك نجد في الكتاب أيضاً ترجمات وأشعاراً لشعراء عدة ينتمون لأسرة واحدة اشتهرت بالأدب والشعر، توارثه رجالها مثل بني العديم وبني الشهاب محمود وأبناء حبيب وبني الشحنة وبني قرناص وغيرهم، وقد ورد كل منهم في موضعه الذي اقتضاه الحرف الذي ابتدأ به اسمه.

وفي بعض الأحيان تفرّد كتاب "الدر المنتخب" بذكر شعر لبعض الشعراء لا نراه في غيره، الأمر الذي يزيد في قيمته الأدبية، وربما يدفع بعض الباحثين إلى جمع ما جاء في هذا الكتاب من شعر شاعر من الشعراء، ثم يضيف إليه ما جاء له من شعر في غيره من المصادر الشبيهة به، ويصنع من ذلك كله ديواناً خاصاً لهذا الشاعر.

كما تزداد أيضاً أهمية الكتاب الأدبية بكثرة عدد قصائد هؤلاء الشعراء ومقطعاتهم من جهة، وبعدها أبياتها الضخم أيضاً من جهة ثانية، ومن تعدد أنواعها من شعر قريض، ثم مسمطات

¹ نفسه 1-211

² اسمه إبراهيم بن علي بن إبراهيم. نفسه 1-148

³ اسمه أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. نفسه 1-371

وموشحات ودوبيتات، كما نجد في الكتاب أيضاً بعض فنون اللغة العامية مثل المواليا والزجل والبليقات.

أما الشعر القريض فقد جاء في قصائد كاملة، مثل قصيدة ابن الزملكاني الدمشقي¹، الفقيه الشافعي في مدح النبي - ﷺ - والتي تأثر فيها بقصيدة الشريف الرض ي (ت 406هـ)²، وأول قصيدة ابن الزملكاني:

أهواك يا ربّة الأستار أهواك وإن تباعدَ عن مغناي مغناك

وأعملُ العيس والأشواق تحملني عسى يشاهدُ مغناك مُعناك

تهوي بها البيدُ لا تخشى الضلالَ وقد هُدتُ ببرقِ الثنايا من ثناياك

تسوقها نَسَمَاتُ الصُّبْحِ ساريةً تسوقُها نحوَ رؤياك بِرِّياك³

ومثل قصيدة الشهاب محمود في مدح الملك الأشرف⁴ بعدما فتح قلعة الروم الحصينة وأولها:

لكَ الرِايةُ الصِّفراءُ يَفدُمُها النَّصْرُ فمن كيقبازُ إن رآها وكِيخُسرو⁵

إذا حَفَقَتْ في الأفقِ هُدْبُ بُنودِها هوى الشِرْكِ واستعلى الهُدَى وأنجلى الثغرُ

وإن نُشِرَتْ مثلَ الأصائلِ في وغي جلا النَّقْعُ من لألاءِ طَلَعِها البدرُ⁶

وكذلك أتى الشعر القريض أيضاً في مقطعات كثيرة كثيرةً تدل على مدى عناية الشعراء آنذاك واهتمامهم بها لأسباب عدة، منها أنها لا تحتاج إلى نفس شعري طويل، ولأنها يمكن أن تكون مجلّ

¹ عبد الرحمن بن محمد بن علي كمال الدين بن الزملكاني الشافعي الصدر الفقيه، القاضي كان جيد الصحبة جواداً. توفي في دمشق سنة 739هـ. (أعيان العصر 3-41)

² مطلعها: يا ظبية البان ترعى في خمائله ** لهنك اليوم أن القلب مرعاك (ديوان الشريف الرضي 2-93)

³ الدرالمنتخب 5-2251

⁴ خليل بن قلاون الملك الأشرف، من سلاطين المماليك في مصر. جلس على السرير بعد وفاة أبيه سنة 689،

فتح عكا وطهر الشام والسواحل من الإفرنج. ت سنة 693 هـ (سلم الوصول إلى طبقات الفحول 2-86)

⁵ كيقباز وكبخسرو ملكان من أعظم ملوك الفرس قبل الإسلام (الكامل في التاريخ 1-181 و215)

⁶ الدرالمنتخب 3-984

كافيًا لمعنى مبتكر، أو صورة فنية جديدة مبتدعة، أو محسن بديعي طريف، ومنها قول إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص¹:

لِيَلِي وَلِيَلِكَ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمْلِي ضِدَّانِ هَذَا بِهِ طَوْلٌ وَذَا قِصْرٌ

وَذَاكَ أَنَّ جَفُونِي لَا يُلْمُ بِهَا نَوْمٌ وَجَفْنُكَ لَا يَحْضَى بِهِ سَهْرٌ²

وكذلك نجد في كتاب الدر المنتخب مسمطات شعرية، مثل خمس ابن القيسراني المخزومي الحلبي³، وأوله:

أَيَا فَاضِلًا تُلْمِي مَعَانِي صِفَاتِهِ فَكَلُّ بَلِيغٍ فَاضِلٍ مِنْ رُؤَاتِهِ

وَمَنْ يَسْتَبِينُ الْفَهْمُ مِنْ لِحْظَاتِهِ لَهُ أَمْرٌ بِالرُّشْدِ فِي يَقْظَاتِهِ

وَفِي النَّوْمِ يَهْدِيهِ لِخَيْرِ الطَّرَائِقِ

وَمَنْ قُرْبُهُ غَايَاتُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَأَشْطَرُهُ تُزْهِى بِزَهْرِ خَمِيلَةٍ

وَجُمْلَتُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ خَمِيلَةٍ فَإِنْ قَامَ لَمْ يَدَأْبُ لِغَيْرِ فَضِيلَةٍ

وَإِنْ نَامَ لَمْ يَدَأْبُ لِغَيْرِ الْحَقَائِقِ⁴

ونجد في الكتاب أيضًا موشحات، مثل قول طاهر بن الحسن ابن حبيب بن شريح⁵، وأوله:

¹ إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الأديب مخلص الدين الحموي الشاعر 671هـ (نفسه 1-175

والوافي بالوفيات 6-87)

² الدر المنتخب 1-175

³ محمد بن عبد الله بن أحمد ابن القيسراني المخزومي الحلبي، ولد في حلب سنة 648هـ وسمع بها ثم انتقل إلى القاهرة فصار من أعيان الموقعين وكان رئيسًا متواضعًا كثير المحاسن، توفي بالقاهرة سنة 707هـ. (نفسه

5-2149)

⁴ نفسه 5-2150

⁵ طاهر بن الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن شريح، الملقب زين الدين، أبو العز الحلبي الحنفي (بعد 740-808هـ)، الإمام البليغ الفاضل وبرع في الأدب وصنف، ونظم ونثر، وكتب في ديوان الإنشاء بحلب، ثم رحل إلى القاهرة واستوطنها، وكتب في ديوان إنشائها، وتولى بها عدة وظائف، وله الكتابة الحسنة، والنظم البليغ الكثير، والفضيلة التامة في صناعة الإنشاء. (نفسه 3-1207)

كاملُ الأوصافِ والخُلُقِ خُلُقُهُ مِنْ أَحْسَنِ الخَلْقِ فِي جَدِيدِ الدَّهْرِ والخَلْقِ
 لَسْتَ تَلْقَى مِثْلَهُ بِشْرًا دَائِمَ الأَفْرَاحِ والبِشْرِ
 مَرَّ نَيْلُ النِّهْلِ عَامِلُهُ بِالوفاِ والجودِ عَامِلُهُ وَإِذَا مَا هَزَّ عَامِلُهُ
 فِيهِ كَمْ مِنْ ذِمَّةِ فُقْرًا بِحِيَا زَائِدِ الخَفَرِ¹

وفضلاً عن ذلك لم يُغفل ابن خطيب الناصرية في كتابه هذا الفنون الشعرية المستحدثة ،
 مثل الدوبيت الذي نظمه الشاعر ابن الخيّبي² :

يا صاحبَ رُحلي قفْ معي ذلكَ الحَيِّ كُنَّا أَنَا والحبيبُ والوصلُ ومي
 أفنى أمدُ الفراقِ دمعي ودمي باللهِ عليكِ فابكِ مَيِّ وَعَلَّي³

وكذلك لم يقف ابن خطيب الناصرية عند شعر اللغة العربية الفصحى ، وإنما وسَّع فضاء
 كتابه ليضم فنون الأدب العامي مثل المواليا التي نظمها وجيه الدين ابن سويد التكريتي⁴ في صبيٍّ
 من الأكراد حسن الصورة قد تزوج ، وُزِفَ ليلة عرسه بدمش :

لَمَّا جَلُّوا ذَا الصَّبِيِّ كَالْبَدْرِ فِي هَالُو

سَبَى المُواشِطِ وَقَالُوا فِيهِ مَا قَالُوا

صَبِي كَرْدِي وَكُرْدِيَّةٍ مِنْ أَشْكَالُو

لَوْلَا نَبَاتِ عَذَارُو لِالتَّبَسِ حَالُو¹

¹ نفسه 3- 1217

² محمد بن عبد المنعم الأنصاري الشافعي الصوفي القدوة، شهاب الدين، المعروف بابن الخيّبي، الشاعر
 المشهور والأديب الفاضل، توفي سنة 685هـ. (حسن المحاضرة 1-569 والدرالمنتخب 5-2210)

³ الدرالمنتخب 5 - 2218

⁴ محمد بن علي بن سويد بن معالي، المعروف بوجيه الدين ابن سويد التكريتي، التاجر المشهور . ولد بتكريت
 سنة 609هـ. وسمع بها، ثم قدم البلاد الشامية، وصار من خواص السلطان الملك الناصر صلاح الدين
 يوسف، ومن خواص الملك الظاهر بيبرس، وكان عنده بروصدقة، ودمائة أخلاق ورققة حاشية، وينظم
 المواليا على رأي البغاددة ، توفي سنة 670هـ بدمشق. (نفسه 5-2245)

وفضلاً عما تقدم ضمّ الكتاب ما كان يدور بين أهل العلم من إجازات أو نظم علمية لا يمكن أن نعدّهما شعراً أو أدباً البتة، لأنهما لا يربطهما بالشعر الحقيقي إلا الوزن والقافية، وهما عنصران اثنان فقط من عناصر الشعر غير كافيين لإدخال ما يحتويهما إلى مملكة الشعر السامية. ومع ذلك نذكرهما لإتمام الفائدة، مثل الإجازة العلمية التي كتبها نظماً ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي المحدث² لطالب بحلب:

الحمد لله ربّي قد أجاز لمنّ في ذا الكتاب اسمُهُ أو كان مُستترا
 محمد بن أبي بكر مُسطرهُ بجده ناصر الدين الذي اشتهرا
 أجاز مرويّة ممّا له وأتى عنه وفي كَلِّهِ للشريط مُعتبرا
 وفي المحرم سبع في الثلاث أتى ميلادُهُ بدمشق جلاً من قَطراً³

وأما الأدباء فقد ترجم الكتاب لكثير منهم، وذكر كثيراً من فنونهم الأدبية الثرية المتنوعة، مثل:

- الأوامر السلطانية التي تعدّ جزءاً من الكتابة الديوانية، وكانت تسمى - كما ورد لدى ابن خطيب الناصرية - التوقيعات الشريفة، وهي - شأنها في ذلك شأن جميع الكتابات الديوانية - تتسم بالعلو في التأنق والإكثار من ألوان الصنعة المتنوعة بأنواعها الثلاثة المتمثلة بعلوم المعاني والبيان والبيدع، الأمر الذي جعلها مثقلة بالصنعة موسومة بالتكلف، ولا غرو في ذلك، فقد كانت متأثرة بما في قصور السلاطين ورجالهم وحيواتهم من تأنق وتكلف شديدين فضلاً عن

¹ نفسه 5 - 2247

² محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد الشيخ شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي ال شافعي المحدث. ولد بدمشق سنة 777هـ، سمع فيها حتى غدا محدثها وحافظها، وكان إنساناً حسناً محدثاً فاضلاً، وله مؤلفات عديدة، توفي سنة 842هـ. (نفسه 5-2095)

³ نفسه 5 - 2097

تأثرها بمثيلاتها السابقة لها مثل كتابات القاضي الفاضل (ت596هـ) والعماد الكاتب (ت597هـ) وغيرهما.

- الكتابة الوصفية ، مثل ما كتبه ابن القيسراني المخزومي الحلبي في وصف وفاء نهر النيل ، وهو: "وأقبلت زيادته فعلم أن شبيبة العام في إقبال، ولجّت لُجَّتُهُ في علوّ فتلا مُشَاهِدُهَا (وَتَرَى الْجِبَالَ)¹، وعمّ بحُسنِ راويه وأروائه فجاجًا، وسقاها على ما بها من الظمأ (ماءٌ تُجَاجًا)²، وروى بلادًا لوجاءها غيره لذهب ولم ينفع صاديًا، وأنشد لسأن حاله (ومن ورد البحر استقل السواقياً)³، وكسا البلاد حلّة جمّة المحاسن، ومائلها ب (الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ)⁴، و (أَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)⁵ بزيادته التي حَصَلَتْ، وَقَتَلَ المحلّ بأواجه المحمرة، فقيل: حمرتها دمًا من قتلته"⁶.

- تقريظ الكتب والدواوين، مثل تقريظ العلامة السبكي⁷ لجزء من ديوان شمس الدين الخياط الدمشقي الشاعر، والذي جمع فيه بين النثر والشعر، ومنه: " الحمد لله . شِعْرُتَسَنَّم ذرّوة الأدب، وأخذ من أزيمة البلاغة بأقوم سبب، فأهدى إلى القلب شفا الضرب، وإلى السمع ألحان الطرب، وإلى العين رياضًا يقصّر عن زهرها زهير، ويتأخر طرفه عن طرفها ولو أعذّ السير، ويشهد لها الملك الضليل بأنها النابغة"⁸.

¹ سورة النمل 88

² سورة النبأ 14

³ عجز بيت للمتنبي، صدره: قواصد كافور توارك غيره. الموضح في شرح شعراي الطيب المتنبي 5-460

⁴ سورة محمد 15

⁵ سورة البقرة 164 والنحل 65 والجمالية 5

⁶ الدرالمنتخب 5-2151

⁷ علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي (683-756هـ) الإمام تقي الدين أبو الحسن المفسر الحافظ الأصولي اللغوي النحوي المقرئ البياني الجدلي الخلافي، النظار البارع، شيخ الإسلام، أوحده المجتهدين، وولي قضاء الشام فباشره بعفة ونزاهة، وتوفي بمصر وصنّف نحو مائة وخمسين كتابا مطوّلا ومختصرا. (شذرات الذهب 8-308)

⁸ الدرالمنتخب 5-2435

وفضلاً عما تقدم نجد في كتاب الدر أيضاً وصفاً مهماً جداً لمجلس أدبي طريف ، ضم عددًا من أدباء ذلك العصر وعلمائه شارك فيه ابن خطيب الناصرية ، وذلك لأنه يعطينا صورة للوجه الآخر لهم، وهي صورة بعيدة عن الجد والوقار، نجد فيها المزاح واللهو والفكاهة والتبسط والهزل، وكأن ابن خطيب الناصرية أراد أن يخفف من غلواء الجد الذي اتسم به كتابه، فوصف هذه الجلسة الأدبية التي ضمت مجموعة من الأدباء والعلماء ، اشتركوا جميعاً في نظم زجل هزلي ساخر، وطلبوا من عبد الرحمن بن محمد المروزي¹ أن ينسبه لنفسه، ولقد روى ذلك مفصلاً ابن خطيب الناصرية، فقال: " وكنا يوماً مجتمعين قبل الفتنة التمرية في بيتي بالمدرسة السيفية الشافعية في جماعة من الطلبة، ومعنا القاضي زين الدين عبد الرحمن المذكور، فتذاكرنا الأدب فذكر قول الشاعر:

مَنْ قَالَ أَنَا جَنْدِي خَلَقْتُ لِقَدْ صَدُقْتُ²

فقلنا: تعمل شيئاً في هذا المعنى، فقال القاضي زين الدين: نعم.

مَنْ قَالَ: أَنَا فَقِيهِ بَشَرٌ لِقَدْ فَشَرٌ

فقلنا: كلُّ منا يقول في القصيدة شيئاً، فذكرت أنا شيئاً، وذكر غيري شيئاً، ثم ذكر القاضي زين الدين المُعْظَمَ، فقلنا له : أنت اعلمها وانسبها إليك، فعملها وأتمها، ونحن حاضرون في ساعة واحدة، ومهما:

مَنْ قَالَ أَنَا فَقِيهِ بَشَرٌ لِقَدْ فَشَرٌ

عَنْدِي جَلُودٌ بِلَا وَرَقٍ كَتَبْتُ عَتَقُ

مِنْ دَرَسِهَا قَلْبِي احْتَرَقُ بِنَارِ فِكْرُ

مَرْقَعَةٌ مِنَ النُّطُوعِ إِيشِ ذِي الْقَطُوعِ

أَصُولُهَا مَعَ الْفُرُوعِ كُلُّهُ هَدْرُ

كِتَابِي هُوَ طَيْفُ الْخِيَالِ يَوْمَ الْجِدَالِ

وَلِي عَلَيْهِ شُرُوحٌ طَوَالٌ فِيهَا قَصْرُ³

¹ عبد الرحمن بن محمد بن سلمان المروزي ابن الخراط زين الدين ولد بحماة سنة 777هـ، وقدم حلب مع ولده، فنشأ بها، وكان أدبياً فاضلاً لا بارعاً في النظم والنثر، ومدح الحلبيين بقصائد كثير، وله نظم ونثر، ولي كتابة سر طرابلس وكتابة الإنشاء بالديار المصرية، وعنده دماعة أخلاق وسلامة صدر وعدم شر وحسن سياسة، توفي بالقاهرة سنة 839هـ. (نفسه 3- 1266)

² مطلع بليق (وهو ضرب من الزجل الماجن) للشيخ سراج الدين عمر بن مولاهم. (النجوم الزاهرة 10-318 والمنهل الصافي 7-216)

³ نفسه 3- 1367

وأخيراً تُتَوَجَّحُ أهمية الكتاب الأدبية بأسلوب ابن خطيب الناصرية الشخصي في غير ما نقله أو رواه عن غيره، والذي نستطيع أن نصفه بأنه السهل الممتنع البعيد عن الصنعة التي سادت كتابات كثير من الكتاب والأدباء، فغطت بما كان فيها من أستار التصنع الكثيفة ما في النصوص من معاني ومشاعر وجمال، وجعل كثيراً من النقاد يتسرعون فينعتون هذا العصر وآدابه بالانحطاط أو الانحدار متناسين لسبب ما أصناف الأدب الجميل الذي نراه في مقدمة ابن خلدون أو رحلة ابن بطوطة أو رحلة ابن جبير أو حي بن يقظان لابن طفيل أو وفيات الأعيان لابن خلكان وغيرها، ونجد ذلك الأدب الجميل في كل ما كتبه ابن خطيب الناصرية ببنانه، ويبدو ذلك في مقدمة كتابه التي سبق ذكرها، وكادت تخلو من السجع إلا في أسطر قليلة في أولها، ولكنه كان سجعا قليلاً خفيفاً لطيفاً، وكذلك كان جميع ما كتبه ابن خطيب الناصرية في ترجماته سهلاً سلساً بسيطاً جميلاً خالياً من السجع وغيره من أنواع الصنعة تقريباً، وذلك مثل ما كتبه في هذه الترجمة التي اخترناها من غير بحث ولا تمحيص: "أحمد بن يوسف بن مالك شهاب الدين أبو جعفر الرُّعَيْنِي الأندلسي الغرناطي المالكي. وغرناطة - قال الرافعي في تاريخ قزوين¹ :- يقال إنها بلدة دقيانوس² صاحب أصحاب الكهف.

ولد الشيخ أبو جعفر المذكور قبل العشر وسبعمئة، أو في حدود السبعمئة تقريباً، ورحل إلى الشرق، هو ورفيقه وصاحبه الإمام أبو عبد الله محمد ابن جابر الهواري، فدخل القاهرة، وقرأ بها على الشيخ أبي حيان أثير الدين الأندلسي، ثم قدم دمشق، وسمع بها الحديث من أشياخها كالمزني وغيره، وسمع من فخر الدين عثمان الملقَّب وابن عبد الهادي الحنبلي والتكريتي، وعز الدين خطيب الصالحية ومحمد سبط عبد الدائم، وشمس الدين محمد السلاوي أصحاب ابن عبد الدائم.

ثم قدم حلب، واستوطنها وأقام بها نحو ثلاثين سنة، وسمع بها الحديث من الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمود وغيره. وحدث بحلب والبيرة، سمع عليه بحلب أبو المعالي ابن

¹ اسم الكتاب: التدوين في أخبار قزوين، طبع بتحقيق عزيز الله العطاردي. دار الكتب العلمية بيروت

سنة 1987

² أي الملك الذي هرب منه أصحاب الكهف. (التدوين في أخبار قزوين 1-318)

عشائر وشيخنا أبو إسحاق الحلبي وآخرون، وحج مرات، وجاور بالمدينة الشريفة، ثم رجع إلى حلب وأقام بها.

وكان اشتغل بالمع رب على أبي عبد الله البيري وغيره وبرع، وكان إماماً عالمًا فاضلاً أديبًا ماهرًا في النثر والنظم مجيدًا فيهما، مكثرًا بارعًا في النحو والبيان والتصريف والبديع، متقنًا لكلام العرب دينًا ثقة حجة.

اشتغل بحلب وأفاد الحلبيين، وبه وبرفيقه انتفعوا، وأخذ عنه وعن رفيقه علم النحو جماعة كثيرة، منهم مشايخنا كالإمام أبي البركات موسى الأنصاري وأبي إسحاق الحلبي، والشريف عز الدين الحسيني وأبي البقاء محمد بن خليل الحاضري الحنفي، وأخذ عنهما أيضًا أبو المعالي ابن عشائروزيين الدين أبو العزظاهر ابن حبيب، وشرف الدين أبو بكرين سليمان الدايدي الشافعي، والإمام الأديب علاء الدين أبو الحسن علي بن عبد الله البيري وغيرهم.

وكان حسن الأخلاق حلو المحاضرة، وله مؤلفات مليحة مفيدة في النحو والبديع والعروض والتصريف، منها شرح ألفية ابن معطي في النحو، تزيد على عشر مجلدات كبار، ف يه فوائد ونفائس، وكان يستمد فيه من فوائد رفيقه الشيخ أبي عبد الله المذكور، وهذا الكتاب يدل على عظم قدره وكثرة اطلاعه وتبحره في هذه العلوم، ومنها شرح البديعية المسماة "الحلة السيرا في مدح خير الوري"¹ التي نظمها صاحبه الشيخ أبي عبد الله المذكور.

وله النظم البديع الفائق والنثر المنيع الرائق، من ذلك ما قاله عند الرحيل من غرناطة:

ولما وقفنا للوداع وقد بدت قباب ربا نجد على ذلك الوادي
نظرت فالفيت السبيكة فضة لحسن بياض الزهر في ذلك النادي

¹ "الحلة السيرا في مدح خير الوري"، منظومة بديعية لابن جابر الأندلسي الضير، ص احب البديعية المسماة، وهي في مائة وسبعة وعشرين بيتًا، وقد سرد فيها ابن جابر المحسنات البديعية حسب ما أورده الخطيب القزويني، وبدأها بقوله:

بطيبة أنزل ويمم سيد الأمم ... وانثر له المدح وانثر طيب الكلم (نظم العقدين في مدح سيد الكونين 491)

فلَمَّا كَسَتْهَا الشَّمْسُ عَادَ لُجَيْئُهَا¹ لَنَا ذَهَبًا فَاعْجَبَ لِإِكْسِيرِهَا الْبَادِي¹

والسبيكة: موضع خارج حمراء غرناطة.

وله:

تَجَنَّتْ فُجْنٌ فِي الْهَوَى كُلُّ عَاقِلٍ رَأَاهَا وَأَحْوَالُ الْمُحِبِّ جَنُونُ
وما وعدتْ إِلَّا عَدَّتْ فِي مَطَالِهَا² كَذَلِكَ وَعَدُّ الْغَانِيَاتِ يَكُونُ²

.....وله:

لَا تَأْتِمِنُهُ عَلَى الْقَلْبِ بَ فَمِنَهُ أَصْلُ غَرَامِهَا
فَلِحَاضَتِهِ هُنَّ الَّتِي رَمَتِ الْوَرَى بِسَهَامِهَا³

.....وله:

مَنَازِلُ لَيْلِي إِنْ خَلَّتْ فَلَطَامًا بِهَا عَمَرَتْ فِي الْقَلْبِ مَنِّي مَنَازِلُ
رِسَائِلُ شَوْقِي كُلِّ يَوْمٍ تَزُورُهَا⁴ وَمَا ضُيِّعَتْ عِنْدَ الْكَرِيمِ الْوَسَائِلُ⁴

.....وله مضمناً منها البيت الأخير:

لَقَدْ كَرَّ الْعِدَارُ بُوْجِنْتِيهِ كَمَا كَرَّ الظَّلَامُ عَلَى النَّهَارِ
فَغَابَتْ شَمْسُ وَجِنْتِهِ وَجَاءَتْ عَلَى مَهْلٍ عَشِيَّاتُ الْعِدَارِ
فَقُلْتُ لِنَظْرِي لَمَّا رَأَاهَا وَقَدْ خُلِطَ السَّرْوَادُ بِالْإِحْمِرَارِ
(تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ⁵ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ)⁵

وله مضمناً مطلع قصيدة أبي تمام في عجز البيت الأخير:

¹ مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 53 .

² مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 69 .

³ مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 69 .

⁴ مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 64 .

⁵ مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 56. والبيت الأخير للصمة القشيري (الصمة بن عبد

الله القشيري حياته وشعره 95) وهو من بني عامرين صعصعة، من مضر، شاعر أموي بدوي من العشاق

المتيمين. كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام . ثم خرج غازياً يريد بلاد الديلم، فمات في طبرستان

سنة 95هـ تقريباً. (الأغاني 5-6)

وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ دَبَّ عِذَارُهُ فَكَأَنَّهُ خَطُّ عَلَى قِرطَاسِ
لَمَّا رَأَيْتُ عِذَارَهُ مُسْتَعْجِلًا قَدْ رَامَ يَخْفِي الْوَرْدَ مِنْهُ بِأَسِ
نَادَيْتُهُ قَفَّ كِي أُوْدِعَ وَرْدَهُ (ما في وقوفك ساعة من بأس)¹

وله في المعنى:

هَلَمَّ إِلَى ذَاتِ السْتَوْرِ وَأَخْتَهَا نَقَضِي لِبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَدَّبِ
إِذَا زَرْتَهَا وَاللَّيْلُ مُرَخِّ ذِيوَلَهُ وَجَدْتُ بِهَا طَيْبَهُ وَإِنْ لَمْ تُطَيَّبِ

وله:

أَبَدَتِ لِي الصَّدْعَ عَلَى خَدِّهَا فَأَطْلَعَ اللَّيْلُ لَنَا صُبْحَهُ
فَخَدَّهَا مَعَ قَدِّهَا قَائِلٌ (شقيق عارض رُمَحَهُ)²

..... توفي - رحمه الله تعالى - يوم السبت منتصف رمضان سنة تسع وسبعين وسبعمائة،
ودفن بمقابر الصالحين خارج باب المقام بحلب.

ورثاه رفيقه الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري المري
بقصيدة، وهي:

لَقَدْ عَزَمْتُ مَفْقُودٌ وَجَلَّ مُصَابٌ فَلِخَدِّ مِنْ حُمْرِ الدَّمِوعِ خِضَابُ
مِصَابٌ لِعَمْرِي مَا أُصِيبْتُ بِمِثْلِهِ وَلَا أَنَا فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ أُصَابُ
فَإِنْ أَبُكَ لَمْ أُعْتَبْ وَإِنْ أَرَصَابِرًا فَلَيْسَ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ عِتَابُ
بَكَيْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ ذَلِكَ نَافِعًا وَلَا فِيهِ إِلَّا أَنْ يَضِيعَ ثَوَابُ³
فَتُبْتُ لِحُسْنِ الصَّبْرِ وَهُوَ أَجَلُّ مَا إِلَيْهِ إِذَا جَلَّ الْمِصَابُ يُثَابُ

¹ مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 58. وعجز هذا البيت هو صدر بيت من مطلع قصيدة
لأبي تمام في مدح أحمد بن المعتصم، وعجزه: (نقضي ذمام الأربيع الأدراس). (ديوان أبي تمام بشرح
التبريزي 1-358)

² مجلة معهد المخطوطات. شعر أبي جعفر الغرناطي 50. وما بين القوسين جزء من البيت التالي: (جاء
شقيق عارض رُمَحَهُ ... إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ). وهو لحجل بن نضلّة، وهو شاعر جاهلي. (معاهد
التنصيص على شواهد التلخيص 1-72)

³ وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها 79 بيتًا. ينظر شعرا بن جابر الأندلسي 18

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بَدَارٌ إِقَامَةٌ فَلِلنَّاسِ عَنْهَا رَحْلَةٌ وَذَهَابٌ¹

لقد صاغ ابن خطيب الناصرية ما يريد أن يصوغه بلغةً سرديّةً طيّعةً ، اتسمت بالتركيز والدقة والباشرة والخفة ، كما كانت بعيدة عن الصنعة والافتعال وضروب التنميق والتزييق وطغيان الجانب اللفظي الذي طغى على جانب المضمون طغياناً كبيراً . إنه أسلوب علمي ، ولكنه أدبي جميل ، نستطيع أن نسميه بالأسلوب العلمي المتأدب ، أو بالأسلوب الأدبي العلمي الذي جمع بين الفائدة والمتعة ، وخاطب العقل والنفوس معاً ، ولو أن الذين وصموا أدب العصور الزنكي والأيوبي والمملوكي في المشرق والمغرب نظروا إلى هذا النوع من الأدب وإلى أمثاله بصورة دقيقة منصفة من جهة ، ووضعوا في حسابهم أن الشاعر ليس شاعراً ، لأنه يقول فيحسن ، وإنما هو شاعر ، لأن قوله الحسن هذا يمثل عواطف الذين يسمعونه ويقرؤونه ، ويرضهم ويقع من نفوسهم موقع الإعجاب ، ولم يرضك البيت من الشعر – كما قال طه حسين - إلا لأنه يوافق هوى في نفسك ، و يلائم عاطفة من عواطفك ، ويُرضي حاجة من حاجاتك إلى الجمال² . أقول: لو أنهم وضعوا في حسابهم ذلك لتغير الحكم على هذه العصور وآدابها ، وكان متصفاً بالشمول والإنصاف والدقة والعلمية.

وبعد ، فإننا نرجو ببحثنا هذا أن نكون قد وفقنا إلى الغاية التي نصبو إليها ، وهي الإشارة إلى أهمية هذا الكتاب وأمثاله من الناحية الأدبية ، وإلى أهمية دراسة الأدب في غير مصادره التقليدية ، تلك الكتابات الطلقة التي نجدتها في كتب التراجم و الطريخ والجغرافية والرحلات وغيرها ، والتي اتخذنا كتاب (الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب) الذي حققناه أنموذجاً لها أملين أن يضيف شيئاً إلى المكتبة العربية وإلى الدراسات الأدبية.

¹ الدر المنتخب 2-509 وما بعدها

² حديث الأربعاء 2 / 372

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأعلام. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت 2002 م
- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء. محمد راغب الطباخ. عني به محمد كمال. دار القلم العربي. حلب 1988. وطبعة المطبعة العلمية ، حلب 1923
- أعيان العصر وأعوان النصر. صلاح الدين الصفدي. تح علي أبو زيد وزملائه. دار الفكر المعاصر ودار الفكر. بيروت ودمشق 1998 م
- الأغاني. أبو الفرج الأصبهاني. تح سمير جابر. دار الفكر. بيروت
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي . دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان
- البدر الطالع الهدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. الشوكاني. دار المعرفة. بيروت
- بغية الطلب في تاريخ حلب. كمال الدين ابن العديم. تح سهيل زكار. دار الفكر. بيروت
- التدوين في أخبار قزوين. القزويني. تح عزيز الله العطاردي. الكتب العلمية ببيروت سنة 1987
- حديث الأربعاء ، طه حسين، الكتاب اللبناني ، بيروت 1974
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . السيوطي. تح محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية. مصر 1387 هـ - 1967 م
- الدرالمنتخب في تكملة تاريخ حلب (تاريخ ابن خطيب الناصرية) تح أحمد فوزي الهيب . مؤسسة البابطين الثقافية. الكويت 2017
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . ابن حجر العسقلاني . تح محمد عبد المعيد ضان . مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر اباد. الهند 1392هـ - 1972م
- ديوان الشريف الرضي. عُني به محمود مصطفى حلاوي . دار الأرقم . بيروت 1999 م
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول . مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ«حاجي خليفة» تح محمود عبد القادر الأرنؤوط. مكتبة إرسیکا، إستانبول.
- السلوك لمعرفة دول الملوك. المقرئ. تح محمد مصطفى زيادة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. مصر. وطبعة أخرى تح محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت 1418هـ - 1997م
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. عبد العلي بن أحمد بن محمد ابن العماد الفكري الحنبلي. تح محمود الأرنؤوط. دار ابن كثير. دمشق 1406 هـ - 1986 م . وطبعة مكتبة القدس. القاهرة 1351هـ
- شرح ديوان أبي تمام. الخطيب التبريزي. عني به راجي الأسمر. دار الكتاب العربي. بيروت 11994
- شعر ابن جابر الأندلسي. صنعه أحمد فوزي الهيب. دار سعد الدين. دمشق 2007

ديسمبر 2018

جامعة الجزائر 2

- شعر أبي جعفر الغرناطي. مجلة معهد المخطوطات العربية. القاهرة. مجلد 54/1-53
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. السخاوي. دار مكتبة الحياة. بيروت.
- طبقات المفسرين. جلال الدين السيوطي. تح علي محمد عمر. مكتبة وهبة. القاهرة 1396 هـ
- الكامل في التاريخ . عز الدين ابن الأثير الجزري . تح عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي . بيروت 1417 هـ / 1997 م
- كشف الظنون كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة. مكتبة المثنى - بغداد 1941 م . وطبعة وكالة المعارف ، استانبول.
- مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية حاليًا) المجلد 16، العدد 182 شباط (فبراير) 1941 ص 185
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . العباسي. تح محمد محيي الدين عبد الحميد . عالم الكتب - بيروت
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . ياقوت الحموي . تح إحسان عباس . دار الغرب الإسلامي. بيروت 1414 هـ - 1993 م
- معجم المؤلفين. عمر بن رضا كحالة . مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي. بيروت
- موسوعة حلب المقارنة. خير الدين الأسدي. عني بها محمد كمال . جامعة حلب . حلب 1401 هـ. 1981 م
- الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي. التبريزي. تح خلف رشيد نعمان. سلسلة خزانة التراث. بغداد 2005
- النجوم الزاهرة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ابن تغري بردي . وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دار الكتب. مصر. و طبعة أخرى تح محرز و شلتوت. القاهرة 1972
- نظم العقدين في مدح سيد الكونين . ابن جابر الأندلسي . تح أحمد فوزي الهيب . دار سعد الدين . دمشق 2005
- نهر الذهب في تاريخ حلب . كامل بن حسين بن محمد البالي الحلبي، الشهير بالغزي . دار القلم. حلب 1419 هـ
- نيل الأمل في ذيل الدول. المملطي ثم القاهري الحنفي . تح عمر عبد السلام تدمري . المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان 1422 هـ - 2002 م
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين . إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي . وكالة المعارف الجلييلة . استانبول 1951
- الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي. تح أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. دار إحياء التراث . بيروت 1420 هـ- 2000 م، وطبعة أخرى تح صلاح الدين الهواري. دار الكتاب العربي . بيروت 1955
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ابن خلكان البرمكي الإربلي . تح إحسان عباس . دار صادر - بيروت 1900 - 1994 م .

